

هذا الضغط المعرفي الذي مركزه الغرب إلى الآن. ومن الأسباب أيضا ما نتج عن ذلك من ضغط اصطلاحى غربي، إن لم نعالجه علميا ذهب ربحنا. ومن أسباب هذا الوعي أيضا ما عليه مصطلحنا النقدي العربي القديم من إهمال حتى أصاب كثيره الصدا. ولشد ما نبتة أهل العلم " عندنا إلى "حالة الصدا الثقافي" التي لخصها ميخائيل نعيمة في "الغربال" قائلا: "حل بنا ما يحل بمحراث من الحديد مهمل في الحقل دون استعمال. غلاف سميك من الصدا اكتف عقولنا وقلوبنا، فعذنا نتعجب كيف لا ترى النور والشمس مشرقة"¹.

إن حالة الوعي بلغت قمتها لدينا عندما نظرنا في حالنا وفي حال الآخر، أي الغربي. إنها "وضعية المقارنة الثقافية" حسب مصطلحنا. وهي، في رأينا، وضعية تاريخية ضرورية لاكتساب الوعي. بل إنها وضعية ضاربة الجذور في الأنطولوجي. فليس عيبا أن نعيش وضعية المقارنة الثقافية، بل العيب أن ننقل دون إدراك الأصول والأبعاد، وأن ننقل ما لا يلائمنا في شيء. نتائج كل ذلك ما نشاهده وما نسمع به، مشرقا ومغربا، من "حالات تشويه". إن وضعية المقارنة الثقافية تقتضي الوقوف على مختلف الأطراف الثقافية، فيحدث الوعي بالخصوصية، فتكون المعالجة.

لا يذهبن بنا الظن إلى أن وضعية المقارنة الثقافية لا تكون إلا بين ثقافات مختلفة. بل إنها قد تكون داخل الثقافة الواحدة، أي بين

¹ ميخائيل نعيمة، الغربال، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، ط 1964/7، ص 52